((أتظن أني إنما خرجت في طلب الدنيا التي تعظمونها، أو للرغبة فيها، أو ما تعرضون علي من أموال المسلمين.؟ وليس ذلك كما تظن، إنما خرجت غضباً لله ونصرة لدينه، وطلباً للشهادة وأن يجعل الله مقامي هذا حجة على الأمة))

الحسين بن علي الفخي

((فوالله إن الراحة منهم ومن المقام معهم في دارهم لراحة، والجهاد عليكم فريضة، فقاتلوهم فإن الله تعالى قد فرض قتالهم وصبِّروا أنفسكم فوالله لو لم أجد غيري لحاكمتهم إلى الله حتى ألحق بسلفي)).

الحسين بن علي الفخي

وإني لأنـــوي الخـــير سراً وجهـــرة وأعـرف معروفـاً وأنكـر منكـراً
ويعجبنـــي المـــرء الكـــريم نجـــاره ومن حين أدعوه إلى الخـير شـمرا
يعـين عـلى الأمـر الجميـل وإن رى فـواحش لا يـصبر عليهـا وغـيرا

الحسين بن علي الفخي

سلسلة أعلام الجهاد (٤)

الحسين بن علي الفخي (ع)

((دموع ودم وأشلاء تشكو جور الزمن))

تأليف

يحيى محمد المؤيد

مراجعة وتصحيح

عبد الرحمن محمد المروني

الإهداء

لمن أهدي السطور وهي ركيكة لكنها على قدر مهديها لا على قدر من تهدى إليه. فإليك أهدي يا علم الهدى، يا من يحلق في سماء الأصفياء.

يا قدوة الأجيال يا همس الشفاة.

ما خطه قلمي من سير الأولياء ..

فأنت أنت من على منهاجهم تمضي .. فدتك روحي .. يا من هو السبَّاق إلى كل مكرمة قصدتك أنت يا سيدي ..

يا صاحب الفضل في كل حرفٍ خطه قلمي.

عرفاناً بالجميل أهدي هذا الجهد المتواضع للوالد العلامة:

أحمد بن صلاح الهادي (حفظه الله وأبقاه).

تصدير

مما لا شك فيه أن التاريخ جهل -أو تجاهل- فضائل كثير من الفضلاء، وأتاح الفرصة لأعدائهم فتكلموا فيهم بما لا يليق.

ذلك لأن التاريخ ظلوم جهول متجاهل يتجاهل فضائل المصلحين المخلصين، وكثيراً ما يرفع شأن المبطلين ويثني على المفسدين، لأنه صفحة مفتوحة يسجل فيها الكتَّاب ما يشاءون فيحفظها لمن بعدهم.

فإن لم يجد من أهل الحق من يسجل على صفحاته حقهم، ويذكر فضائلهم، تجاهلها كما تجاهل فضائل من سبقهم، وأبقى كلمات أعدائهم، بل وأبدلهم بالنور ظلمة، وبالصدق كذباً، وبالذكر الجميل ذكراً قبيحاً، وبالحقائق أوهاماً وتشكيكاً. ثم لا يفتر يقلب الحقائق حتى يسمي الشهيد شيطاناً، والآمر بالمعروف ظالماً جباراً، والمصلح

الذي يتهالك في إصلاح مجتمعه وأمته مفسداً مكاراً.

ونظراً لما اعتاده بعض المؤرخين من التهميش لتلك الشخصيات العظيمة من أهل البيت عليهم السلام.. وحتى لا يُظلمَ هذا الإمام المؤمن المجاهد، أو يسجل له التاريخ على ألسنة معاديه تاريخاً مظلماً مغلوطاً غير تاريخه الأبلج المشرق بالأنوار المحمدية والفضائل العلوية ..

نقدم هذا الكتاب مساهمة منا في نشر المعرفة؛ وإظهار الحقيقة؛ وتصحيح المفاهيم المغلوطة.

والله من وراء القصد.

الناشر

إفتتاحية

الطغاة ... ودعاة العدالة ... طرفي نقيض على مر العصور.

ففي كل عصر يرسم الطرفان لنا مشهداً تتفاوت شناعته بين طاغية وآخر.

وكذلك يتفاوت البذل فيه بين داعية وآخر.

وبين درجات ومراتب المجد يتسابق الخالدون الداعون إلى العدالة، فتراهم مرة يحلقون في السماء، ومرة ترى الساحة تخلو منهم، وأخرى تراهم يضعفون أمام ضربات الطغاة الذي لا يخلو منهم عصر من العصور.

ولكن التاريخ قد يضاعف المأساة، ويعين الظالمين على ظلمهم عندما يمجِّد الطغاة، ويخفي محاسن رواد العدالة وأصفياء العصور

لكـــــــي يظفـــــــر كـــــــاتبوه برضـــــــا أو عطـــــــاء وحب أمير.

فكان من واجب كل إنسان يؤمن بضرورة الدفاع عن حقوق الإنسان سواءً الحي منهم أو الميت أن يعمل كل ما في وسعه لإظهار الحقيقة.

فإذا كان الماضون من المستضعفين قد سفكت دماؤهم ومثلّ الطغاة بأجسادهم، فلماذا نزيد الأمر سوءاً بأن نترك مؤرخي البلاط يهتكون أعراض أهل الحق ليزيدوا سلطانهم الطاغية مجداً إلى مجده.

فأي مظلومية أعظم من أن يُظلم الإنسان حياً وميتاً.

ولذلك أصرخ منادياً لكل كاتب حرٍ يبحث عن الحقيقة أن يسخر قلمه لرفع ذلك الظلم الذي تأباه كل نفسٍ كريمة.

وها أنا ذا أقدم بين يديك عزيزي القارئ هذه السطور المتواضعة لأنتزع من كنوز التأريخ قصة أحد تلك الشخصيات التي حلقت في سماء العظمة، فأراد الطغاة أن يخمدوا صدى ذكرها بعد أن أخمدوا أنفاسها.

ذلك هو الإمام المجاهد الشهيد:

الحسين بن علي الفخي (عليه السلام)

الذي أرجو أن أكون قد وفّقت في عرض حياته بإسلوب قصصي مبسط.

فتعال معنا أخي القارئ الكريم لنعيش مع هذا الإمام أيام حياته التي ما ترك له الطغاة فيها راحة إلا ونغَّصوها.

المؤلف

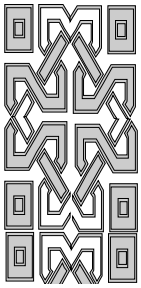

البَابُ الأَوَّلُ

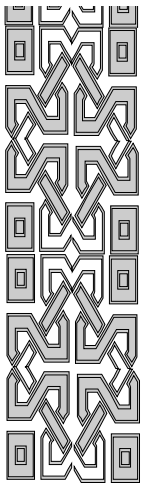

فتى بني هاشم..

الفصل الأول

أشرقت شمس اليوم الأول من شهر شوال، وخرج أهل المدينة لأداء صلاة عيد الفطر المبارك.

وبدأ الصبيان يمرحون ويتسابقون تكسوهم بعض قطع الثياب الجديدة.

وبعد أن ودَّع الناس شهر رمضان المبارك لعام ١٢٦هـ ليعودوا إلى ممارسة حياتهم وأعمالهم اليومية.

وقفت ريطة بنت عبد الله بن محمد بن الحنفية تتذكر أياماً قد رحلت وتركت في القلب طيفاً من الذكريات. ذكريات اللقاء والأنس والإجتماع مع الزوج والولد.

فقد بعثرت أيدي العتاة تلك الأسرة الصغيرة التي اعتادت أن تجتمع في صباح كل عيد، فمنذ أربعة أعوام

فقدت زوجها زيد بن علي، وشُرِّد ولدها يحيى ولم تعد تدري أهو حي أم ميت؟!

كان الشيء الذي يُهيّج فيها عاطفة الأمومة الحانية، أنها لا تدري أهو حي أم ميت؟

وكل ما تتمناه أن تراه ولو لمرة واحدة أو تتعرف -على الأقل- على مصيره..

وبعد مدة من الزمن أقبلت قافلة الشام التي تحمل عادةً الأخبار إلى المدينة المنورة، واقبل الرسول الخاص يحمل بين يديه شيئاً ملفوفاً في قطعة قماش بيضاء.

وطرق باب دار زيد بن علي ففتُح له الباب..

الرجل عليهم السلام ين ريطة بنت عبد الله زوجة زيد بن علي رضي الله عنهم

الخادمة رضي الله عنها وهي تلتفت إلى زاوية من الدار ي يا مولاتي

وقبل أن تكمل الخادمة كلامها لكي تسمع الإجابة.. كان ذلك الرجل يدحرج شيئاً ما من خارج الباب ليستقر ذلك الشيء بين يدي ريطة بنت عبد الله بن محمد .. فإذا هو رأس وليدها الغائب يحيى بن زيد (ع).

تجمدت الدماء في العروق، وتسمرت الأبصار على ذلك الرأس المتدحرج، وصعق أهل الدار لذلك المنظر الوحشي .. وساد في الدار صمت قاتل .. لتتحدث المشاهد والصور بدلاً عن الألسن والكلمات فتقول بلسان الحال:

ها هو الغائب قد عاد .. والحبيب المنتظر قد رجع .. والأمل في اللقاء قد تحقق .. ولكن في أبشع صورَة .. فلم يعد من الغائب إلا رأسه.

وبعد لحظات صامتة، وحالة من الذهول مرت دقائقها أشد تأثيراً على النفوس من وقع السياط وطعن الرماح.

لحظات تشيب لها رؤوس الصبيان، وتتفتت لهولها الأكباد.

ارتفع بصر تلك الأم المؤمنة التي لم تعد تؤثر فيها المآسي لكثرة تكررها، وقالت: شردتموه عني طويلاً .. وأهديتموه إليّ قتيلاً ؟!! صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلا.

* * *

وفي نفس العام وفي دار أخرى من ديار بني هاشم كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب تعاني آلام المخاض وتستعد لوضع حملها.

كان زوجها وابن عمها علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن ينتظر ذلك المولود ويدعو الله أن يخفف عن زوجته آلام الولادة.

وصرخ المولود عند ملامسته للأرض ليعلن عن قدومه إلى هذه

الدنيا.

وأقبل عبد الله بن الحسن وبنيه ليباركوا لزوج أختهم وابـن عمهـم علي بن الحسن ولزوجته زينب المولود الجديد.

لقد كان لزينب بنت عبد الله بن الحسن ستة من الأخوة هم: محمد، وإبراهيم، ويحيى، وإدريس، وسليمان، وموسى.

لذا كانت تلاعب ولدها وتنشد قائلة:

تعلـم يـا ابـن زينـب وابـن هنـدِ كـم لـك بالبطحـاء في معـدَّ
مـن خـال صـدق مـاجد وجَـدِّ

وكانت زينب مع زوجها يُعرفان بين أهل المدينـة بـالزوج الـصالح لكثرة تعبدهم وصيامهم..

اختار علي (العابد) بن الحسن (المثلث) لولده اسماً هو بذاته كفيل بأن يكون وصية والد لولده، فقد سماه حسيناً.

فجعل هذا الطفل يتربى ويترعرع في أحضان والديه، يصحو ليله فيراهم عاكفين على الصلاة، ويطلب الطعام

في نهاره فيراهم لا يأكلون معه لكثرة صيامهم.

فارتوى من منهلهما الصافي ومعينهما العذب، وعرف للعبادة قيمتها، فأبوه كان قد بلغ من العبادة مرتبة سامية جعلت الناس ينادونه: علي العابد، وعلي الخير، وعلي الأغر.

الفصل الثاني

كان الحسين كثير التعلق بخاليه محمد وإبراهيم.

فكان يكثر الذهاب إليهما والمجالسة لهما...

وفجأة افتقدهم فلم يعد يراهم.

الحسين رضي الله عنه عليه السلام مي رضي الله عنها رضي الله عنها عليه السلام مي رضي الله عنها

زينب رضي الله عنها لبيك رضي الله عنها رضي الله عنها لبيك يا حسين ماذا بك رضي الله عنه

الحسين: يا أمي أين خالي محمد وخالي إبراهيم، لقد بحثت عنهما فلم أجدهما؟!

إلتفتت زينب إلى زوجها وقد أغرورقت عيناها بالدموع، وقبل أن تنطق أسرع زوجها ليحمل ولده الحسين حتى لا يرى وجه أمه، وهو يقول له: سيعودان قريباً، سيعودان قريباً إن شاء الله.

كان محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم قد اختفيا عن الأنظار خوفاً من الخليفة العباسي المسمى بالسفاح، حيث كان السفاح قد بايع محمد بن عبد الله بالخلافة قبل قيام الدولة العباسية، وكان من المفترض أن تسلم الخلافة إلى محمد بن عبدالله، ولكن الأهواء وحب السلطان قلبت الموازين.

فبدلاً من أن تسلم الخلافة إلى أهل البيت بادر أولاد العباس في أخذها.

وفجأة وبين عشية وضحاها أصبح الصديق المناصر خصماً عنيداً يتتبع خطى صديقه الماضي ليفتك به..

وفي عام ١٣٦هـ أقبل أبو جعفر المنصور إلى المدينة أميراً لموسم الحج قبل وفاة أخيه أبي العباس السفاح.

وعند دخوله المدينة .. كان الوالي عليها زياد بن عبد الله الحارثي.

أبو جعفر: ماذا فعلت يا زيـاد؟ هـل ظفـرت بمحمـد وإبـراهيم ابنـي عبد الله بن الحسن؟

زياد: يا مولاي .. ما تركنا طريقاً تُوصِّلْنا إليهما إلا وسلكناها ولكنـه لا يكاد يعرف لهما أثر.

عليه السلام بو جعفر رضي الله عنهم عليه السلام يعقل عليه السلام نهما لم يدخلا المدينة لمدة عليه السلام ربع سنوات رضي الله عنهم لا رضي الله عنها رضي الله عنها لا رضي الله عنها رضي الله عنها إنما ذلك تهاون منكم رضي الله عنها ابعث إلى والدهما وائتني به اللحظة رضي الله عنه لا بد عليه السلام نه يعلم عليه السلام ين هما رضي الله عنهم

وما هي إلا ساعات حتى دخل المجلس شيخٌ ذو هيبـة ووقـار، قـد بدت عليه معالم الشيخوخة .. كان ذلك الشيخ هـو شـيخ بنـي هاشـم عبد الله بن الحسن.

أبو جعفر: اسمع يا عبد الله، لقد طال تخفّي ولـديك واسـتتارهما، وإني أعلم أنهما يضمران لنا الشر، فأتني بهما في الحال أو دلني على المكان الذي تخفيهما فيه .. وإلا والله لأفصلن رأسك عن جسدك فقد نفد

صبري منك ومن ولديك.

عبد الله بن الحسن ليس لي من سلطان عليهما ولا عرف لهما مكاناً فاصنع ما بدا لك

بو جعفر إذاً ضرب عنقك

وفي هذه اللحظات تدخل والي المدينة..

زياد يا مولاي اترك عبد الله إنه شيخ كبير ونا تعهد لك بالبحث عنهما

بو جعفر كيف ونحن نبحث عنهما منذ ربع سنوات

فلما انصرف عبد الله قال زياد لأبي جعفر:

رى يا مولاي ن تفصل إمارة المدينة عن مكة فيقوم كل مير بالبحث في إمارته فيضيق عليهما الخناق

بو جعفر لا بأس بهذا الري ولكن

اسجنهم هنا في المدينة ولا تترك عبد الله بن الحسن وعليه السلام ولاده يقابلون الناس رضي الله عنه فإني عليه السلام خاف عليه السلام ن يؤلبوهم علينا رضي الله عنها رضي الله عنها وحذار عليه السلام ن يتصل بهم عليه السلام حد رضي الله عنها رضي الله عنها عليه السلام ريد عليه السلام ن يضطر محمد وعليه السلام خوه إلى الظهور رضي الله عنها

* * *

وبعد هلاك أبو العباس السفاح آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور، فجعل كل همه هو الوصول إلى محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم بن عبد الله.

وفي عام ١٤٤هـ قدم إلى المدينة لأداء الحج. وقبل أن يدخل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر بإحضار المساجين من أهل البيت (ع).

فلما وصلوا إليه أغلظ لهم القول، وأمر بإنفاذهم إلى الكوفة على إبل بدون غطاء، وجعلهم في سجن ابن هبيرة - وهو سرداب مظلم تحت الأرض.

وفي داخل ديار بني هاشم في المدينة وقفت زينب بنت عبد الله بن الحسن تنظر إلى ولدها الحسين وأخته فاطمة والدموع تجري على خديها.

فبين لحظة وأخرى خلت الديار من الأحباب، فقد أُخذ زوجها وأبوها وعمها، وجميع إخوانها، ولم يبق لها في ديار المدينة من أحد سوى وليدها الحسين بن علي.

لقد كانت ترى فيه عبادة أبيه وشجاعة أخواله، كلما نظرت إليه سالت دموعها بغزارة وازداد حزنها، مما جعل نساء المدينة والمحبين لأهل البيت يحاولون أن يخففوا عنها بعض آلامها.

فمنهم من يفتح لها أبواب الأمل ويمنيها بعودتهم، ومنهم من يدعو على من ظلمهم، ومنهم من يشكو جور أبي جعفر المنصور ويتوعد بقتله.

ولكنها كانت قد لاذت بالصمت فلسانها لا ينطق إلا بالذكر والإسترجاع.

دخل عليها ولدها الحسين، فجعل يقول لها: لا تحزني يا أماه، فغداً يخرج خالي محمد فينصره الله على هؤلاء، ويفك أسر أبي وأخوالي إن شاء الله .

* * *

كان الحسين بن علي قد بلغ سن السادسة عشرة من عمره، وأصبح فتى يافعاً يفهم كل ما يدور من حوله، ويدرك تلك المأساة التي تنزل بأهل البيت (ع).

وفي رجب عام ١٤٥هـ وقبيل فجر إحدى الليالي كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضيق بمن فيه. فقد دخل محمد بن عبد الله بن الحسن المسجد مع أصحابه، فلما طلع الفجر ارتفع صوت المؤذن ((الله أكبر .. الله أكبر .. حي على الصلاة .. حي على خير العمل)) وصلى الناس، وصعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى نفسه وازدحمت المدينة بالأنصار

والموالين.

واستبشر أهل الصلاح بظهوره خيراً وبادر إليه العلماء والفضلاء، وأقبل الحسين بن علي إلى خاله محمد بن عبد الله ليخرج معه وينصره، ويسير في ركبه ليلتحق بقافلة المجاهدين في سبيل الله.

وكان لزينب بنت عبد الله في ظهور محمد بن عبد الله تخفيفاً لبعض آلامها وعزاءً فيمن غاب من أهلها.

لقد طال فراقها لأخيها محمد بن عبد الله فسرت بلقائه، ولكن ذلك لا ينسيها فراق أبيها وعمها وزوجها وما تشعر به من الخطر المحدق بهم.

وعلم أبو جعفر المنصور في العراق بما حدث في المدينة.

فجهز الجيوش نحو المدينة، وحوصرت المدينة بعد أن أمر محمد بن عبد الله النفس الزكية بحفر الخندق حول المدينة قبل وصول جيش الشام، وعاش الناس أيام شهر رمضان في دفاعٍ عن المدينة المنورة.

وبعد أيام من الحصار اقتحم الجيش العباسي الخندق المحيط بالمدينة وقاتل محمد بن عبد الله مع أصحابه قتالاً شديداً حتى اقترب موعد النصر...

وكانت هناك عين امرأة ماكرة ترقب ما يحدث، فلما رأت الدوائر تدور على الجيش العباسي، أمرت خادمها أن يحمل قماشاً أسود على منارة خلف جيش محمد بن عبد الله، وكان شعار العباسيين راية سوداء، وأمرت من ينادي في الجيش: أتتكم المسودة من خلفكم.

فالتفت أتباع محمد بن عبد الله خلفهم فرأوا تلك الراية السوداء، فظنوا أن العدو قد أخذهم من خلفهم، فتفرقوا عنه يميناً وشمالاً، فلما رآهم نادى عليهم: يا قوم الجنة أمامكم والنار خلفكم لكن القوم لم يلتفتوا إليه.

فرفع يديه إلى السماء وهو يدعو ويقول: اللهم إنهم عجزوا عن احتمال أمرك والجهاد مع ولد نبيك فاجعلهم

في حل من بيعتي .

ثم توجه إلى دار أخته زينب .. وهناك اغتسل وتطهر ثم جلس إلى جوار أخته وقال لها:

يا أختاه سأل الله أن يخلفني عليكم بالخير إذا زالت الشمس وأن مطرت السماء فاعرفي أني مقتول

ثم سلم إليها جملة من الرسائل وأوصاها بأنه متى زالت الشمس أن تحرقها...

ضجت زينب بالبكاء والتفتت إلى أخيها محمد تودعه وولدها إلى جوارها يواسيها.

فلما أراد محمد بن عبد الله الخروج من الدار، ترك الحسين بن علي أمه وتوجه ليلحق بخاله ليكمل جهاده بين يديه فالتفت إليه محمد بن عبد الله قائلاً:

* * *

رجع الحسين إلى الدار وبقي إلى جوار أمه يواسيها ويعزيها، ولم تكد شمس ذلك اليوم لتغيب حتى اكفهرت السماء واشتدت ظلمتها وعلا صوت رعدها، وأمطرت سماء المدينة وهنا علمت الأخت الصابرة أن أخاها قد فارق الحياة.

ولكن أين البقية؟أين يحيى؟ وأين إدريس؟ وأين سليمان؟

هل قتلوا أم أنهم لا يزالون أحياء يحتاجون إلى طبيب يضمد جراحهم؟

كل هذه الأفكار كانت تضطرب كأمواج البحر الهائج...

والتفتت زينب إلى ولدها ووحيدها وقالت له:

- اذهب يا ولدي وتلمس أخبار أخوالك، فإني أرجو أن يكون منهم من لا زال على قيد الحياة.

وتحت جناح الليل المظلم جعل الحسين يبحث

في أوساط القتلى عن أخواله، فلم يجد إلا خاله محمداً وقد فُصل الرأس عن الجسد.

وجعل يتلمس الأخبار حتى علم أن إدريس ويحيى لا زالا أحياء.

فعاد إلى أمه وقال لها:

- أماه أبشرك خالي يحيى وإدريس أحياء.

زينب: بشرك الله بالخير يا ولدي وما خبر محمد؟

أحنى الحسين رأسه وسالت دموعه .. وقال: عظَّم الله أجرك فيه، وأحسن عزاءك.

أخذت زينب نفساً طويلاً ثم قالت: الله أعلم ما أخبار إبراهيم في العراق وما أخبار السجناء؟

الفصل الثالث

كانت المأساة تأبى أن تفارق تلك البيوت، فقد غابت الأفراح عنها وخلت الديار إلا من النساء أو فتية صغار بعضهم لم يبلغ سن الرشد وأما الرجال فهم بين قتيل مضرجٍ بالدماء أو سجينٍ لا يعرف أحيّ هو أم ميت؟ ومشرد يمسي في بلد ويصبح في آخر يرجو النجاة بدينه وبدنه.

وبقيت زينب بنت عبد الله تتجرع كؤوس الحزن ألواناً بين شوق إلى الغائبين، وحزناً وكمداً على المقتولين، وخوفاً أن يُخطف منها وحيدها.

فذهبت محاسنها ولبست المسوح على جلدها.

وهلَّ هلال ذي الحجة وبدأت قوافل الحجيج تدفقها على الديار المقدسة.

وأقبلت قوافل العراق ..

وجعلت زينب تأمر ولدها أن يتلمس الأخبار عن أهلها وزوجهـا، فعاد يحمل إليها أخبار العراق.

الحسين: أماه لقد قتل هذا الفاسق -أبو جعفر -لعنـه الله- أبي وجـدي وجميع أخوالي، وقتل خالي إبراهيم في المعركة[1].

زينب رحمة الله عليهم لكن احذر يا ولدي ن يسمعك حد و نت تسب هذا الرجل فيصيبك منه ما تكره بل اصبر واحتسب فإلى الله نشكو مصابنا

وانطوت على نفسها تبكـي وتبـث شـكواها إلى الله وحـده، حتـى انتحل منها الجسد وعاجلها المرض وهـي تـردد: يـا فـاطر الـسموات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة، الحاكم بين عباده، احكم بيننا وبـين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

* * *

(١) قتل إبراهيم بن عبد الله (ع) في موضع يسمى باخمرا بين الكوفة وواسط في نفس العام الذي قتـل فيـه أخوه محمد بن عبد الله النفس الزكية بعد معركة طاحنة مع جيش الشام في ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ.

جعل الحسين بن علي يرتقي في مراتبه العلمية يوماً بعد يوم، ولم يبلغ من العمر الخامسة والعشرين إلا وقد صار يشار إليه بالبنان في العلم والكرم والشهامة والنُّبل.

وبذل الحسين بن علي كل جهده في سبيل تحصيل العلوم، وإعالة أمه زينب وأخته فاطمة، ورعاية أخيه من أبيه الحسن بن علي الذي كان كفيف البصر..

ولكن مهام الحسين بن علي لم تنحصر عند هذا فقط، فقد اضطره الحال إلى إعالة معظم أسر بني هاشم ممن فقدوا رجالهم أو غاب عنهم من يعيلهم .. فهم ما بين قتيل أو متخفٍ أو مسجون.

أخذ الحسين يوزع أمواله التي ورثها عن أبيه على أهل بيته وينفقها يميناً وشمالاً، فلا يكاد يرد فقيراً ولا مسكيناً ولا صاحب حاجة.

كان يعطي بيد سخية فلو أصبح وفي يديه أموال أهل الدنيا لأمسى ويديه خالية .

ولما اشتهر كرمه قصده أصحاب الحاجات من كل بلاد

.. واجتمع بعض أهل بيته وأصدقائه فقال أحدهم:

رضي الله عنهما هلا ذهبنا إلى الحسين لعلنا ننهاه عن هذا الإنفاق رضي الله عنه فإني عليه السلام خاف عليه السلام ن يفني ماله ويغرق نفسه في الديون رضي الله عنهما

وعلى الفور وافقه الجميع على ذلك.

فلما دخلوا على الحسين قام إليهم فأحسن استقبالهم وبالغ في إكرامهم.

فتكلم أحدهم قائلاً: ياسيدي، لقد أجمع أمرنا أن نأتيك ناصحين ومحذرين من بعض ما أنت فيه من العطاء، فإنا نخاف أن تفني أموالك وتغرق نفسك في الدين.

الحسين: والله يا أصحابي إني أخاف أن لا يكون لي في ذلك أجر.

قالوا: وكيف ذلك وأنت أسخى العرب والعجم؟

الحسين: إن الله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} ووالله

ما هذه الأموال التي أنفقها وهذه الحصاة إلا بمنـزلة واحدة.

فبهت الحاضرون، وعادوا وقد يئسوا أن يجدوا حيلة لإقناعه بها عن التخلي عما هو فيه.

واستمر في عطائه وكرمه حتى كاد أن يفني جميع أمواله التي كانت له في الحجاز.

* * *

وذات يوم دخل عليه أحدهم سائلاً، فلم يجد ما يعطيه فأطرق برأسه مفكراً، ثم قال للسائل:

- اجلس هناك -وأشار إلى مكان في ناحية المجلس- فإن أخي الحسن يأتي ليُسلِّمَ عليّ فإذا أقبل إلي فخذ حماره واذهب.

فأقبل الحسن بن علي -وكان كفيفاً- وجلس إلى أخيه الحسين، فأشار الحسين بإصبعه إلى السائل لأخذ الحمار.

فأقبل السائل يريد الحمار، ولكن غلام الحسن منعه

من أخذه.

فأشار إليه الحسين أن يعطيه.

فبقي الحسن ما شاء الله أن يبقى، ثم ودع أخاه وقام من مجلسه.

الحسن: يا غلام عليّ بالحمار.

الغلام: لم يبق لنا حمار يا سيدي.

الحسن: أين ذهب الحمار؟

الغلام: لقد أمرني أخوك مولاي الحسين بأن أعطيه للرجل الذي كان عنده حال دخولنا.

التفت الحسن إلى أخيه قائلاً: أعرت؟ أم وهبت؟

ولكنه قبل أن يسمع الإجابة تمتم بكلمات هي خلاصة تجربته مع أخيه: والله ما مثلك يعير، نعم ما مثلك يعير.

ثم كرر الحسن وداع أخيه وصاح بغلامه:

يا غلام، خذ بيدي لنذهب مشياً، فأما الحمار فقد وُهب.

* * *

وفي يوم آخر دخل عليه سائل آخر فلم يجد ما يعطيه، وكره أن يرجع السائل من عنده بلا شيء، فنادى على أهل داره.

الحسين رضي الله عنه يا عليه السلام هل الدار رضي الله عنهم يا عليهم السلام آل محمد رضي الله عنهم عليه السلام خرجوا ما عندي من الغسيل رضي الله عنهما

فجعل أهل الدار يخرجون ثيابه فلما اجتمعت أَمَر المسكين أن يأخذها ويذهب بها صدقة عليه.

* * *

اشتهر الحسين بن علي، وعرف الناس فضله ومقامه، ووصلت أخباره إلى الخليفة العباسي..

فقد دخل وزير الخليفة الربيع بن يونس على الخليفة أبي جعفر المنصور.

الربيع: يا مولاي .. قد بلغني من كرم الحسين بن علي ما أذهلني، فقد

بلغني أنه أنفق من الأموال ما لا ينفق حتى الخليفة مثله، وأخاف أن يتقرب إلى قلوب الناس بذلك، ثم يشق علينا العصا.

أبو جعفر: أعلم ذلك ولكني لن أمكنه من ذلك ما حييت.

الربيع: كيف ستصنع يا مولاي هل تجرده من ماله؟

أبو جعفر: ليس لديه الكثير من الأموال، إنما تأتيه من شيعة أهل البيت في بقية الأمصار..

الربيع: هل تسجنه كما سجنت أهل بيته من قبل؟

أبو جعفر لا بل حقره وأهل بيته بين الناس ونزلهم منزلة العبيد فأجعل من يستعرضهم صباحاً ومساءً كما يستعرض الرقيق فأمنعهم من الخروج من المدينة ويتهيب الآخرون من بقية مواليهم من لقائهم مخافة أن ينزل بهم غضبي وبهذا كفى شرهم

جعل أبو جعفر المنصور يضيق على أهل البيت عليهم السلام ويمنعهم من الخروج من المدينة إلا بإذن واليه على المدينة وعلمه، وأصدر أمره إلى والي المدينة بأن يستعرضهم كل صباح، ويأخذ بعضهم بكفالة بعض، فمن غاب عن العرض سجن كفيله حتى يعود.

بل وجعل يضيق الخناق على كل من يتصل بهم أو يواصلهم من الشيعة في سائر الأمصار.

فضاقت عليهم أرزاقهم وصاروا أقرب شيء إلى السجناء، وزاد السفهاء ومن لا يعرف لهم قدرهم في الإساءة إليهم والتمادي في أخذ حقهم والاعتداء عليهم.

* * *

وكان الحسين بن علي يدرك أن ذلك الوضع قد فاق كل ما يحتمل.

فجعل يحاول أن يسد حاجة أهل بيت النبوة ومواليهم من خالص ماله، حتى غرق في الديون.

ولقد نادى يوماً على أحد أصدقائه زيسمى الحسن بن هذيل.

الحسين: يا حسن هلا استدنت لي أربعة ألاف درهم؟

الحسن بن هذيل: حباً وكرامة يا سيدي أمهلني حتى الغد.

وجعل الحسن بن هذيل يبحث عن رجل يستدين منه للحسين ولكن الكثير من التجار كان يعتذر عندما يعلم بأن المال للحسين بن علي مخافة أن يعلم الوالي وأن لا يستطيع الحسين رد المال لما هو فيه من الضيق.

إلا أن البعض ممن عُرف بحب آل البيت سارع إلى الإجابة لطلب الحسين.

التاجر: يا حسن، هذه ألفان وعد إليّ في الغد أعطيك الباقي.

دخل الحسن بن هذيل على الحسين وهو يصلي، فوضعهما تحت سجاد من حصير، وذهب فلما أكمل الحسين صلاته أخذ المال وخرج لبعض حاجته.

وبينما هو يمشي في الطريق جعل رجل من أهل المدينة يتبعه، فلما أحس به الحسين التفت إليه.

الحسين: ألك حاجة؟

الرجل المدني: لا ولكني أحببت أن أصل جناحك.

الحسين: إذاً فخذ هذه واعذرني أيها الرجل.. وأعطاه الألفين.

فلما كان الغد أقبل الحسن بن هـذيل والحسين في مـصلاه يـصلي، فأراد أن يضع الألفين عند ألفي الأمس ولكنه لم يجد لهـا أثـراً، فجلـس ينتظر الحسين. فلما فرغ من صلاته جعل يكلمه.

الحسن بن هذيل يا مولاي عليه السلام ين ذهبت الدراهم التي سلمتها لك بالأمس رضي الله عنهم

الحسين بن علي لا تسألني عنها رضي الله عنها

الحسن بن هذيل والله لا عليه السلام ذهب حتى عليه السلام علم رضي الله عنها

الحسين بن علي لقد تبعني بالأمس رجل مدني فأعطيته الألفين رضي الله عنها

الحسن بن هذيل إذاً خذ هذه الدراهم رضي الله عنها رضي الله عنها رضي الله عنها

وسلم إليه الدراهم ثم تركه وانصرف.

فلما أخذ الحسين المال اصطحب خادمه أبا حمزة إلى السوق، فاشترى ردائين أحدهما للخادم والآخر له وذهبا إلى المسجد.

فإذا برجل أشعث أغبر قد أزرى الفقر ملامحه ينادي عليه: يا ابن رسول الله مسكين لا يجد ما يستر عورته اعطني مما عندك.

فلم يجد الحسين ما يعطيه ولكنه التفت إلى أبي حمزة.

الحسين: يا أبا حمزة أعطه رداءك.

أبو حمزة: وأمشي بغير رداء؟

الحسين: اعطه الرداء وأنا أعوضك عنه ويكون لك أجر صدقتك.

فلم يزل بأبي حمزة حتى خلع الرداء وأعطاه للسائل، ثم أخذ الحسين بيد السائل إلى داره وخلع رداءه وأعطاه له.

وذهب السائل مسروراً قرير العين.

فجعل أبو حمزة يتبعه في الطريق حتى صار السائل في مكان منعزل عن الحسين.

فقال له أبو حمزة: أتبيعني الرداءين؟

السائل: بدينارين؟

فأعطاه الدينارين وأخذ منه الرداءين .. وعاد إلى الحسين فأخبره الخبر وأعطاه رداءه فجعل الحسين يبحث عَمَّنْ يرسله للبحث عن السائل ليرد عليه الرداءين.

فالتفت إليه أبو حمزة قائلاً: امرأتي طالق إن رددتهما عليه أو دعوته.

فلما حلف أبو حمزة تركه الحسين ولم يرسل في طلب السائل.

* * *

وبعد فترة اشتد الحال بأهل البيت فقرر الحسين أن يذهب إلى العراق ليبيع ضيعة كان قد ورثها عن أبيه ليسد دينه وينفق على أهل بيته ويواسي الفقراء الذين يزداد عددهم يوماً بعد يوم.

فالثراء الفاحش وموارد الأمة صارت تُصَب في طبقات الحاشية والوزراء والأمراء ومن يوالي السلطة، بينما عامة المسلمين في فقر شديد .. واصطحب الحسن بن هذيل في سفره، فلما بلغ العراق، أمر

الحسن بن هذيل أن يبيع الضيعة، فباعها بتسعة آلاف دينار.

الحسين: إذاً فهيا لنخرج من العراق.

الحسن رضي الله عنه نبيت هذه الليلة ونسافر في الصباح رضي الله عنهما

الحسين رضي الله عنه فهيا بنا إلى الخان رضي الله عنهما فأقبل الحسين فبسط لهما على باب الخان رضي الله عنهما

فلما استقر بهما المكان .. أقبل رجل يحمل سلة فتوجه إلى الحسين بن علي وقد توسم في الحسين الخير.

الرجل: مُرْ غلامك أن يأخذ مني هذه السلة.

الحسين: ومن أنت؟

الرجل: أنا أصنع الطعام الطيب فإذا نزل القرية رجل من أهل المروءة أهديته إليه.

الحسين رضي الله عنه يا حسن بن هذيل رضي الله عنهما رضي الله عنهما خذ السلة منه رضي الله عنهما رضي الله عنهما

ثم التفت إلى صاحب السلة قائلاً: عد إلينا لتأخذ سلتك.

فلما انصرف صاحب السلة أقبل رجل عليه ثياب رثة..

فالتفت الحسين إلى الحسن بن هذيل قائلاً:

رضي الله عنهما ادفع إليه السلة رضي الله عنهما

ثم التفت إلى السائل قائلاً: خذ ما فيها ورد الإناء.

ولما انصرف السائل التفت الحسين إلى الحسن بن هذيل وقال له:

رضي الله عنهما يا حسن رضي الله عنهما رضي الله عنهما إذا رد السائل السلة فادفع إليه خمسين دينارا رضي الله عنه وإذا جاء صاحب السلة رضي الله عنه فادفع إليه مائة دينار رضي الله عنهما

فجعل الحسن ينظر إلى الحسين بن علي في إشفاق وحزن قائلاً:

رضي الله عنهما يا مولاي جعلت فداك بعت مالاً لك لتقضي ديناً عليك رضي الله عنه فسألك سائل فأعطيته طعاماً هو مقنع له رضي الله عنه فلم ترض حتى امرت له بخمسين دينارا رضي الله عنه وجاءك رجل بطعام لعله يقدر فيه ديناراً عليه السلام و دينارين

فأمرت له بمائة دينار رحمه الله

فالفت الحسين بن علي إلى الحسن بن هذيل قائلاً:

اسمع يا حسن إن لنا رباً يعرف الحسنات

إذا أتاك السائل فاعطه مائة دينار، وإذا أتاك صاحب السلة فاعطه مائتي دينار.

والذي نفسي بيده إني أخاف أن لا يقبل مني؛ ووالله ما الذهب والفضة والتراب عندي إلاّ بمنزلة واحدة.

الفصل الرابع

عاد الحسين بن علي إلى المدينة وسدد بعض ديونه، وجعل يتلمس أخبار من نجا من أخواله وبني عمه ممن خرجوا مع محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبد الله، وحاول أن يلم شعثهم، وسهل مهمته هذه أن المرض عاجل أبا جعفر المنصور، فمات في عام ١٥٨هجرية.

وتولى الأمر بعده ولده محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي..

فحاول أن يرد عليهم عطاءهم حتى يؤمن خائفهم ويظهر متخفيهم.

فكتب الأمان لعيسى بن زيد ولجميع أهل البيت.

فرجع يحيى وإدريس إلى المدينة، وظهر الحسن بن محمد بن عبد الله الذي كان لا يزال في مقتبل العمر.

وبظهور هؤلاء خف الحمل على الحسين بن علي.

ولكن الديون كانت قد أثقلت ظهره واشتد حياؤه من أهلها.

* * *

وبينما الحسين بن علي يعاني من ظروفه الصعبة أقبلت الرسل من العراق ووصلت الأخبار أن علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد حاول الثورة في العراق فأسره جنود المهدي قبل أن يحقق شيئاً.

فجعل أهل البيت يصرون على الحسين بن علي أن يذهب إلى المهدي ليشفع في علي بن العباس.

فخرج الحسين من المدينة متوجهاً إلى العراق، فأقبل

عليه التجار يقولون له:

رضي الله عنهما يا حسين عليه السلام تخرج إلى العراق قبل عليه السلام ن تقضي ما عليك من ديون رضي الله عنه فمن يضمن لنا عودتك رضي الله عنهم

الحسين: إذاً فالحقوني إلى باب المهدي.

فلما وصل إلى المهدي أقبل إلى باب قصره راكباً على جمل.

الحارس: من الرجل وماذا تريد؟

الحسين: أبلغ مولاك أن الحسين بن علي على باب قصره.

دخل الحارس على المهدي.

الحارس: يا مولاي، إن ابن عمك الحسين بن علي بن الحسن على باب القصر لم يترجل عن رحله.

المهدي: أدخله على رحله؟ وَهَبَّ المهدي إلى ساحة القصر ليستقبله.

فلما أناخ البعير وثب إليه المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه

إلى جنبه.

المهدي كيف خلفت الأهل في المدينة يا ابن العم رضي الله عنهما

الحسين بخير يا ابن العم لا يعكر صفوهم إلا سجن علي بن العباس رضي الله عنهما

المهدي: هو هبة لك نخرجه من السجن متى شئت، ولكن ما الذي جاء بك إلينا؟

الحسين: ما جئت وورائي من يعطيني درهماً.

المهدي: أفلا كتبت إلينا.

الحسين: أحببت أن أحدث بك عهداً.

فدعى المهدي بعشر بدر من ذهب ومثلها من فضة، وعشرة تخوت من الثياب ودفعها إلى الحسين بن علي.

فخرج الحسين ووضعها في دار في بغداد، فأقبل عليه أهل الدين، فجعل يسأل كل واحد منهم: ما عندنا لك

من الدين؟.. فيقول: كذا .. فيعطيه ما قال .

ثـم يـدخل يـده في كـيس الـدنانير ويخـرج مـلء يـده ويقول:

- وهذه صلة لك.

وهكذا حتى لم يبق من المال إلا الشيء اليسير.

* * *

وبعد أن خرج الحسين من عند الخليفة المسمى بالمهـدي، أمـر المهـدي بإحـضار سـم بطـيء التـأثير وأمـر بـأن يـدس في طعـام علـي بـن العبـاس بـن الحـسن بـن الحـسن بـن علـي بـن أبـي طالـب، بحيـث لا يـؤثر فيـه إلا وقـد صـار إلى أهله فيكون لهم عبرة.

فأقبل الحسين على حرس الـسجن وطلـب مـنهم أن يخرجـوا إليـه علي بن العباس فعانقه واصطحبه معه.. وتوجه به نحو المدينة.

فلما بلغ الكوفة ونـزل في خان .. أقبل بعض مـن رآه عنـد المهـدي إلى صاحب الخان، وقال له:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

يا رجل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا رجل من ولد رسول الله صلى الله عل يه

و عَلَيْهِمُ السَّلَامُ له وسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فأسرع الرجـل وأخـذ سـمكاً فـشواه وأخـذ معـه رقـائق وقدمـه إلى الحسين ورفاقه..

صاحب الخان: لم أعرفك يا ابن رسول الله.

التفت الحسين بن علي إلى غلامه قائلاً:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كم بقي من المال يا هذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الغلام: شيء يسير يا مولاي والطريق بعيد.

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذاً فـادفعه إلى هذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فدفعه إلى صاحب الخان .. ثم بحث الحسين عمن يعطيه مصاريف

الطريق ديناً.

وواصل الحسين سفره ومعه ابن عمه علي بن العباس، فلما وصل المدينة كان تأثير السم قد ظهر على جسد علي بن العباس، فلم يمر اليوم الثالث من وصولهم إلى المدينة إلا وقد تفحم لونه وبدأ لحمه في التساقط.

أدرك الحسين أن الخليفة المسمى بالمهدي قد وضع لعلي بن العباس السم، فجعل يحذر ذلك على نفسه وأهل بيته، فلعل أبو جعفر قتل أهل البيت علناً ومجاهرة فمقته الناس، فأراد المهدي أن يحسن إليهم في الظاهر ويقتلهم دون أن يشعر أحد بالجريمة فيسوء ذكره وتسخط عليه العامة.

فقد منع الولاة من التعرض لهم، وأرسل الجواسيس بينهم يحصون عليهم أنفاسهم وينقلون إليه أخبارهم، فيقتل منهم كل من يخاف خروجه عليه.

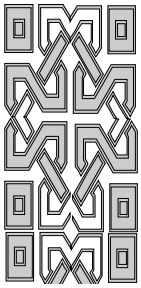

البَابُ الثَّانِي

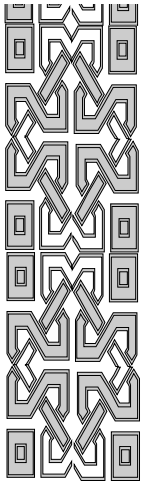

على خطى كربلاء..

الفصل الأول

وفي شهر المحرم سنة ١٦٩ هجرية مات المهدي العباسي واستلم الملك بعده ولده موسى وتلقب بالهادي.

وكان موسى أشد الخلفاء العباسيين قسوة وشراسة، ورث الحقد والكراهية لأهل البيت (ع) فكان أشبه الناس بجده أبي جعفر المنصور، فكان أول ما فعله أن ولى على المدينة إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس.

فأرسل إسحاق إلى رجل يسمى عمر بن عبد العزيز ويلقب بالعُمَرِيْ من ذرية عمر بن الخطاب بأن يصلي بالناس ويتولى أمر الأمارة إلى قدومه.

وكان العُمَرِيْ من أشد الناس بغضاً لأهل البيت، فقد سئم من ثناء الناس عليهم ومن مكانتهم في قلوب الناس،

فلما سنحت له الفرصة أضمر في نفسه أن يستذلهم.

فأرسل إلى رجل يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك، فلما دخل عليه قال له:

- اسمع يا أبا بكر لقد سئمت من هؤلاء القوم، فعلى أي شيء يحبهم الناس؟ .. ولأي شيء يرون لأنفسهم في الناس مكانه؟ .. فلا مال ولا سلطان لهم!!

أبو بكر: من تقصد يا مولاي؟

العمري: أقصد آل أبي طالب.

فوافق هذا الكلام هوى عند هذا الحائك فقال للعمري:

فماذا ترى؟ فالأمر أمرك ولا سلطان أعلى من سلطانك في المدينة، فاصنع بهم ما شئت، فلن يقدر أحد على منعك يا مولاي.

العمري نعم رضي الله عنها نعم رضي الله عنه رضي الله عنهما وترددت في المجلس عليه السلام صداء ضحكاته رضي الله عنهما ثم قال رضي الله عنهم إذاً فاسمع يا عليه السلام با بكر رضي الله عنها عليه السلام ريد عليه السلام ن تجمع لي عليهم السلام ل عليه السلام بي طالب وتأخذ صغيرهم بكفالة كبيرهم رضي الله عنه وعليه السلام خبرهم عليه السلام ني قد عليه السلام مرتك عليه السلام ن تستعرضهم في المقصورة صباحاً ومساءً ومن غاب منهم عليه السلام خذ كفيله به رضي الله عنها

وبصوت تجلت فيه أبعاد هذا الحقد الدفين ختم كلامه قائلاً: لابد أن أمتهن كرامتهم وأعرِّف الناس حقارة مقامهم حتى يعرف الناس من نحن؟ ومن هم؟

خرج أبو بكر بن عيسى الحائك وأقبل ينفذ المهمة، فجمع بني هاشم من صلب علي (ع) وأخبرهم بالأمر، فضاقوا به ذرعاً وعلموا أن العمري يضمر لهم شراً، وأنهم إن خالفوه قتل منهم كل خارج عن أمره.

ولم تكـن مأسـاة الأمـس بالبعيـدة، فـلا زال القلـب الجريح ينزف دماً.

ولم تمض على المأساة سوى أربعة عشر سنة بل أقل من ذلك.

فلم يجدوا أمامهم إلا التسليم والخضوع للأمر الواقع، فجعلـوا في كـل صـباح يقبلـون علـى مقـصورة الـوالي، فيُـــسْتَعْرَضُونَ كمـــا يـــستعرض الرقيـــق والنظـــرات الحاقدة والضحكات الساخرة تحيط بهم من كل جانب

* * *

ولم يكـن العُمَـريْ وابـن الحائك يتركـان وسيلة لإهانـة أهل البيت عنـد كـل استعراض إلا وأحـدثوها، ممـا جعـل الحسين بن علي يفكر مراراً في مخرج من هذا المأزق الحرج.

فأهل البيت في المدينة أشد الناس ضعفاً وشـيعتهم في الأمـصار لا يكادون يظهرون أنفسهم خوفاً من السلطة العباسية.

فلم ير الحسين من حل إلا أن يراسل العلماء والـصلحاء ممـن يعلـم

صدق ولائهم وحرصهم على تَغْيير الوضع الفاسد، فما كان يجري في المدينة مع أهل البيت كان يمثل نموذجاً مصغراً لما يجري في سائر البلدان.

فحقارة الكثير من الولاة جعلهم يغمطون كل ذي فضل فضله حتى لا تظهر للناس حقيقتهم عند المقارنة.

* * *

ومضت الأيام والشهور والحال يزداد سوءاً والتذمر يزداد في الأوساط، والعمري يحيك المؤامرة تلو المؤامرة لينال من ذلك الشرف الرفيع والمقام العالي.

ولكن صبر أهل البيت وتحملهم لم يزدهم في الناس إلا رفعة وشرفاً، وأبت القلوب أن تحتقر من أعزه الله، فإن العزة لله جميعاً {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}.

لقد ظن العمري أن إسقاط فتيان بني هاشم في الرذيلة هو الطريق لإسقاطهم عند الله وعند خلقه، فجعل يوعز للسفهاء الإقتراب منهم وجرهم للرذيلة، ولكن جهوده باءت بالفشل، فورع الآباء قد ورثه الأبناء.

فلم يجد من طريق إلا أن يرميهم بذلك ويحاول إلصاق التهم بهم، فأوعز إلى بعض جنوده بذلك.

العمري اسمع يا هذا اذهب واقبض على الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن وابن جندب الهذيلي (الشاعر) وعبد الله بن سلام مولى عمر بن الخطاب وشعي في الناس نهم كانوا مجتمعين على الخمر

بو بكر الحائك ولماذا عبد الله بن سلام وهو مولى لآل عمر ليس في ذلك من شيء يلحقك

العمري اسكت يا حمق فإنا إذا خذنا عبد الله معهم لم يشك حد في الأمر ومهما بلغ فلن يلحق عمر عاره فما هو إلا مجرد مولى

وبالفعل لم تشرق شمس اليوم الثاني إلا وقد شاع الخبر في المدينة وعلمه الجميع.

لم يُمكن العمري آل البيت من الدفاع عن الحسن بن محمد، فقد أمر السجان بإخراجهم للجلد.

فأمر الجلاد بضرب الحسن بن محمد ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى آل عمر سبعة أسواط فقط.

فشاع هذا الأمر في المدينة فافتضح أمر العمري وعلم الناس أنه ما أراد إلا لينال من الحسن بن محمد ليسيء إلى أهل البيت.

ولم يقف العمري عند هذا الحد ولكنه تمادى في الأمر والتفت إلى أحد جنوده قائلاً:

- عليّ بالحمير فوالله لأفضحنهم حتى لا يبقى أحد إلا ويعلم بخبرهم فحملوهم على الحمير مكشوفي الظهور.

وطار هذا الخبر ليطرق مسامع بني هاشم، وعلمت

بـذلك تلـك المـرأة الـتي رفعـت الرايـة الـسوداء في أيـام محمـد بـن عبـد الله الـنفس الزكيـة وكانـت سـبب انتـصار الجيش العباسي، فتحركت فيها النخوة الهاشمية فأرسلت إليه.

فلما جاءها قالت له: اسمع يا هـذا، لا ولا كرامـه، لا تشهر بأحد من بـني هاشـم وتـشنع عليـه وأنـت لـه ظـالم، فكف عن ذلك وخل سبيلهم.

فلم يجد العمري أمامه إلا أن يمتثل للأمر ويخلي سبيلهم وهو ذليـل صاغر.

الفصل الثاني

جعل الحسين بن علي لا يألو جهداً في التواصل مع الشيعة في سائر الأقطار الإسلامية وجعل يواعدهم اللقاء في موسم الحج لعام ١٦٩هـ.

ولكن العمري كان يصب غضبه على أهل البيت، ويبتكر الحيلة تلو الحيلة ليتمكن من النيل منهم، فقد جعل العمري يأمرْ من يتعرض للحسن بن محمد ويرميه ببعض ما يثيره حتى يجد طريقاً إلى حبسه والنيل منه، فهو لم ينس الإهانة التي تجرع مرارتها بسببه.

واستطاع بعضهم أن يثير الحسن بن محمد فضربه الحسن فشج رأسه، فأسرع الرجل إلى الوالي وأخبره الخبر فأرسل العمري في طلب الحسن.

وبينما هو في مجلسه أتاه بعض جواسيسه.

الرجل: يا مولاي .. يا مولاي.

العمري: ما وراءك يا رجل؟ ما الذي حدث؟

الرجل: لقد حضر إلى الحسين بن علي ما يزيد عن سبعين رجلاً من الشيعة في دار ابن فليح.

العمري -وهو يكاد أن يتميز غيضاً وغضباً: عليّ بعلي بن الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله، فهم الكفلاء والضمناء على الحسن بن محمد.

ثم التفت إلى أبي بكر الحائك وقال له: أغلظ لهم في العرض، لا تمكنهم من اللقاء بشيعتهم.

فأسرع ابن الحائك فجمعهم في المقصورة وجعل يسخر منهم ويطيل في استجوابهم.

فلم يُمكِّن أحداً منهم من الخروج إلا قبيل الظهر وكان اليوم يوم جمعة.

ولم ينته من آخرهم إلا وقد حضر الناس للصلاة حتى لم يتمكنوا

إلا من الوضوء.

فلما خرج الناس من صلاة الجمعة أراد أهل البيت الإنصراف فجمعهم ابن الحائك في المقصورة إلى صلاة العصر، ثم عرضهم فجعل يسأل عن الحسن بن محمد ويدعو باسمه، فلم يحضر.

فالتفت إلى الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله قائلاً:

- لتأتياني به أو لأحبسنكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض، فقد غاب أو خرج.

يحيى: نحن كفيلان عليه فلا حاجة إلى حضوره أم تريد أن تأخذه إلى العمري؟

ابن الحائك: لئن لم تأتياني به فستريان ماذا سأفعل.

يحيى: وما عساك أن تفعل ثكلتك أمك؟

فخرج ابن الحائك مغضباً ودخل على العمري وشكا

إليه أمر الحسين ويحيى بن عبد الله.

العمري: لقد كثر تطاولهما .. عليّ بهما اللحظة.

وما هي إلا لحظات حتى أقبل العساكر بالحسين بن علي قد أُخذ بتلابيبه يجرونه جراً .. يتعمدون بذلك إهانته وإسقاطه من عيون شيعته.

فلم يكد يصل إلى دار مروان التي كانت داراً للإمارة إلا وقد لحقه يحيى بن عبد الله بن الحسن.

العمري: أتخرجان عن طاعتي وتهزءآن بي؟ أمثلك يا يحيى قد صار يسب ويشتم من وليته أمركم؟

التفت يحيى إلى الحسين وأخذ يضحك ثم قال: أنت مغضب يا أبا حفص!!

العمري رضي الله عنه عليه السلام تهز عليه السلام بي وتخاطبني بكنيتي رضي الله عنه

يحيى: قد كان أبو بكر وعمر خير منك.. يخاطبان بالكنى فلا ينكران

ذلك.. وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية.

العمري: آخر قولك شر من أوله.

يحيى: معاذ الله .. يأبى الله لي ذلك ومن أنا منه؟

العمري: فإنما أدخلتك لتفاخرني وتؤذيني؟!

التفت يحيى بن عبد الله إلى العمري في غضب وشدة قائلاً: فما تريد منا؟

العمري: أريد أن تأتياني بالحسن بن محمد.

يحيى: لا نقدر عليه وهو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر فاجمعهم كما تجمعنا، ثم أعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا.

فأعرض العمري عن يحيى بن عبد الله والتفت إلى الحسين الذي كان صامتاً وإلى من بجواره من الحاشية ثم قال:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اسمع يا حسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اشهدوا يا هؤلاء

رضي الله عنها رضي الله عنها عليه السلام ن امر عليه السلام ته طالق وكل مملوك له حر رضي الله عنهم إن لم يأتني به غداً قبل الزوال رضي الله عنهم ويدخله إلى دار مروان رضي الله عنها رضي الله عنها فإن لم يجدني عليه السلام شْهَدَ على مواف اته به رضي الله عنهم وإن لم يفعل ضربته عليه السلام لف سوط ع اش معها عليه السلام م مات ولأضربن عليه سويقه و عليهم السلام تي بنس ائه قسراً حتى عليه السلام ولجهن الحبس رضي الله عنها

فلما سمع يحيى بن عبد الله هذه الكلمات الساخرة والحكم الجائر، وثب من مكانه وهو يكاد أن يتميز غيظاً، وقال للعمري:

- أنا أعطي لله عهداً وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوماً حتى آتيك بالحسن بن محمد أو لا أجده فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك..

ثم أخذ يحيى بيد الحسين وخرجا مغضبين.

فلما صارا إلى مكان آمن من الجواسيس والعيون،

التفت الحسين إلى يحيى قائلاً:

- بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسناً؟

يحيى: لم أرد أن آتيه بالحسن والله، وإلا فأنا نفيٌ من رسول الله ومن علي، بل أردت أن لا أدخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف إن قدرت عليه قتلته.

الحسين: بئسما تصنع تفسد علينا أمرنا.

يحيى: كيف ذلك وما بيننا وبين الموسم الذي واعدت عليه الناس إلا عشرة أيام، وتسير إلى مكة، وهؤلاء بعض أنصارك قد وصلوا إليك؟ فكم قد بايعك من الناس؟

الحسين رضي الله عنه ثلاثون عليه السلام ألفاً من خيار الناس وعليه السلام ئمة العلم والعبادة رضي الله عنهما

وفي تلك اللحظة نادى الحسين بن علي أحد غلمانه وقال له:

رضي الله عنهما اذهب وقل للحسن بن محمد فليأتني رضي الله عنهما

فلما دخل الحسن عليهما أقبل على عمه يحيى وعلى الحسين وجثا يقبل أيديهما.

فتكلم الحسين فقال: يا ابن أخي قد بلغكما ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت.

الحسن لا والله يا عم بل جيء معك الساعة حتى اضع يدي في يده

يحيى ما كان الله ليطّلع عليّ ونا جاءٍ إلى محمد صلى الله عليه وله وسلم وهو خصمي وحجيجي في دمك ولكن فديك بنفسي لعل الله ن يقيني من النار

الفصل الثالث

وبالفعل إضطر الحسين بن علي بـن الحـسن المثلـث ... إلى إعـلان ثورته قبل موعدها بعـشرة أيـام فالـضغوط صـباحاً ومـساءً، والظلـم النازل بالناس وفضلاء أهل البيت على وجه الخصوص جعـل الحـسين يعلن ثورته قبل موعدها.

وبدأ الحسين في الإعداد للأمر، فأرسل إلى بني هاشم من نسل علي الموجودين في المدينة.

فبث إليهم الأمر وطلب منهم جمع أمرهم على إمام يبايعونه فالتفت إلى يحيى بن عبد الله وقال له: أمدد يدك أبايعك يا خـال فأنـت أحقنـا بهذا الأمر وأقدرنا عليه.

يحيى: أنت أحق بالبيعة مني، لأنك الممـتحن بـه دوني وأنـا لـك عـون حتى يقضي الله من أمرنا ما هو قاض.

فأقبل بنو هاشم من ولد علي يبايعون الحسين بن علي

رجلاً رجلاً فبايعه وأخواله أولاد عبد الله بن الحسن يحيى وإدريس وسليمان، وعلي بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي، وأسد بني هاشم وكان أشجع أهل زمانه المسمى بالأفطس عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسن بن علي، وأقبل فتيان بني عبد المطلب حتى بلغوا ستة وعشرين رجلاً، ومن مواليهم خمسة وعشرين رجلاً، ثم أقبل لمبايعة الحسين جماعة من العباد والعلماء والفقهاء ممن ضاقوا بحكم الظالمين ذرعاً.

فافتقد الحسين أثناء البيعة إثنين من وجهاء أهل البيت.

الحسين: أين موسى بن جعفر بن محمد ؟. وأين الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ؟. لا يذهب أحد من هذا المكان حتى يأتياني ونسمع رأيهما.

ولم يمر وقت طويل حتى أقبل موسى بن جعفر، والحسن بن جعفر بن جعفر بن الحسن .. فدخل موسى فانكب على الحسين يقبله،

ثم رفعه رأسه..

موسى: أنا ثقيل الظهر، فلو خرجت معك لم يتركوا مـن ولـداني أحـداً إلا قتلوه، فاجعلني في حل من تخلفي عنك.

جعل الحسين: يفكر قليلاً، ثم قال: أنت في حل يا عماه.

موسى: فأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، فيا بني عمي أجهـدوا أنفسكم في قتالهم، وأنا شريككـم في دمـائهم، فـإن القـوم فـساق يسرون كفراً ويظهرون إيماناً.

أمـا الحـسن بـن جعفـر بـن الحـسن فقـد أبـدى كراهتـه للخـروج، فلـم يرغمـه الحـسين علـى ذلـك وبـات أهـل البيت (ع) تلك الليلة يحلمون بغـد مشرق تتحرر به الأمـة من هيمنة الطغاة وتسلطهم.

* * *

وقبيل الفجر دخلوا المسجد وصعد عبد الله بـن الحـسن الأفطـس إلى المؤذن وهو في الشهادتين فقال له: أذن «بحـي عـلى خـير العمـل»

فأبى عليه فجرد سيفه فرفع المؤذن صوته بحي على خير العمل.

وكان العمري في دار الأمارة، فلما سمع المؤذن يؤذن بحي على خير العمل أحس بالخطر فارتعدت فرائصه، وجعل ينادي في جنوده وغلمانه: أطعموني حبتي ماء وأردفوا البغلة الباب.

ثم هرب متخفياً إلى دار عمر بن الخطاب .. وخرج من الزقاق المسمى بزقاق عاصم ومضى يهرب على وجهه ويسعى حتى نجا بنفسه ولم يلحق به أحد.

ثم تقدم يحيى بن عبد الله فأقام الصلاة وتقدم الحسين وصلى بالناس، ثم صعد يحيى بن عبد الله على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال:

هذا الحسن بن محمد قد جئت به فهاتوا العمري فقد برأت يميني وخرجت مما علي ..

ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله، ثم قال:

أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله أدعوكم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها الناس أتطلبـون آثـار رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم في الحجر والمدر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ من أراد أن يـدخل في هـذه البيعـة ويبايعنـا على جهاد عدو الله وعدونا فإني أبـايعكم عـلى كتـاب الله وسـنة نبيـه، والعدل في الرعية والقسمة بالـسوية.. نحـل مـا أحـل القـرآن والـسنة العادلة.. ونحرم ما حرم القرآن والسنة العادلـة .. عـلى ذلـك دعوتنـا بجهدنا وطاقتنا.. وتتسلحوا معنا.. وتجاهدوا عدونا.. فـإن وفينـا لكـم وفيتم لنا.. وإن خالفنا فلا طاعة لنا عليكم.. اللهم اشهد لنا به.

* * *

وجعل العمري يسير ويهرول حتى وصل إلى الصوافي حافي القدمين مصفر اللون مذهولاً لشدة الخوف، فاستقبله خالد البربري الذي كان معسكراً في الصوافي فقال له:

- ماذا دهاك أيها الرجل؟ وما أخرجك على مثل هذا الحال.

العمري -في تلعثم: لقد لقد...

خالد تكلم لقد فقدتني صبري ما وراءك يا

العمري: لقد ثار عليّ الطالبيون واستولوا على مسجد الرسول وعلى المدينة.

خالد: وماذا فعلت هل حاربتهم هل قتلت منهم أحداً.

العمري: لا بل نجوت بنفسي.

خالد ما عليه السلام جبنك رحمك الله ثم التفت إلى الجنود الذين من حوله وصاح فيهم رضي الله عنهم جهزوا الجند وهيا بنا نحو مسجد رسول الله رضي الله عنها

ثم أقبل خالد البربري في ستمائة فارس وألف راجل.

فدخل المسجد يزبد ويشتم ويتوعد ويقول -قاصداً الحسين: قتلني الله إن لم أقتلك.

وكان قد دخل الحسين رحبة دار القضاء مع أصحابه فأقبل خالد نحوهم شاهراً سيفه يريد الحسين، فلم يفك

الحسين حبوة جلسته فاعترضه يحيى بن عبد الله وكان يحيى شديد القوة مجتمع القلب، فتضاربا بالسيوف فتلقى يحيى سيف خالد بالترس فأسرع فيه فأصاب أصبع كفه فضربه يحيى بن عبد الله على رأسه فشق البيضة والعمامة وبلغ السيف إلى أنفه، وخرج الدم من عينيه، ثم برك عليه حتى جمدت أنفاسه.

وحملوا على أصحابه فقتلوا منهم ثلاثة عشر فارساً وأخذوا منهم ثلاثين فرساً ثم تفرقت جموع خالد البربري كل منهم يرجو النجاة بنفسه.

* * *

جلس الحسين مع أهل الرأي من أهل بيته وأنصاره ليعد العدة للمعركة وتحدث إليهم قائلاً:

- سيا قوم؛ إن موعدنا مع الناس أن نلقاهم في مكة؛ لأن من بايعني لن يدخل المدينة فلا بد أن نخرج إلى مكة.

يحيى: ولكن لمن نترك أهلنا في المدينة فأخاف أن نخرج منها فيدخلوها، وأخاف أن يهتكوا الحرم فإن القوم ليسوا أهل دين ولا ورع..

الحسين رضي الله عنهم لا نخرج منها حتى يقوى جانبنا في المدينة رضي الله عنهم ثم نولي عليها من يحميها ولكن يجب عليهم أن نعد الرواحل رضي الله عنهم فمع موسم الحج لن نجد من يحملنا إن لم نكتر الجمال من الآن رضي الله عنها رضي الله عنها ثم قال الحسين رضي الله عنهم ادعوا لي يوسف مولى عليهم السلام الحسين رضي الله عنها

فلما أقبل يوسف قال له الحسين: يا يوسف خذ هذا المال واكتر لنا جمالاً تحملنا وأبقها عندك حتى أطلبها.

* * *

أسرعت الرسل في الوصول إلى الخليفة العباسي في بغداد.

وكان موسى الهادي أشد أهله حمقاً ورعونة، فلما بلغه الخبر أقبل لا

يلوي على شيء، ولا يكاد يدرك ما يجب أن يفعل.

فجعل ينادي فلاناً وفلاناً ويهذي ويسب ويشتم كل من تأخر فيرسل الجيش تلو الجيش والقائد تلو القائد حتى بلغ من أرسل إلى خمسة جيوش.

* * *

وبينما الحسين منشغل بأمر الإعداد كانت مؤامرة تدبر من داخل المدينة، فقد خرج أولياء بني العباس وأصحاب المصالح إلى مبارك التركي الذي كان قد حج في ذلك العام مع جمع كثير من الجنود.

فلما علم بما يحدث في المدينة توقف بعيداً عنها كراهة أن يقاتل الحسين بن علي.

فنزل عليه أهل المدينة راجين أن يقاتل الحسين.

مبارك: ما وراء القوم؟

القوم: إن المدينة بِشرّ حالٍ فقد قوي جانب الحسين بن علي وبايعه بعض الحجيج ممن دخلوا المدينة للزيارة.

مبارك: وأين العمري، وخالد البربري؟

القوم: لقد قتل خالد البربري وانهزم العمري ولعله يعلم بوصولك فيقبل إليك.

مبارك: فما ترون أن نفعل؟

القوم: لا بد أن تدخل المدينة وتقاتل القوم ونحن لك عون.

فجعل مبارك التركي يتملص من دخول المدينة، فقد كره أن يقاتل أهل البيت.

مبارك: إن الخليفة لم يأمرني بالقتال وأخاف أن يغضب إن قاتلت القوم.

ليس هذا لك بمخرج فقد أرسل الخليفة عدداً من الجيوش وهم في طريقهم إلى هنا، فاخرج معنا كي لا يتمكن الحسين من استقبال الحجيج ليقنعهم بدعوته.

فلم يجد مبارك التركي بداً من الخروج للقتال، فقد خاف أن يعلم

بنو العباس بتملصه فينـزلوا به جام غضبهم.

فأقبل مبارك التركي بمن معه في اليوم الثالث من خروج الحسين، فجعل يناوش أتباع الحسين، وجعل حربه معهم سجالاً إلى وقت الزوال.

ثم أعلن في الناس أن يكفوا عن القتال، وقال: لا بد من القيلولة فأقبل عليه من معه من أهل المدينة قائلين:

رضي الله عنهما ما بالك يا مبارك لا تقاتل الرجل وتناجزه رضي الله عنهما

مبارك عليه السلام نا الأمير هنا واعرف متى عليه السلام قاتل ومتى عليه السلام كف رضي الله عنهما رضي الله عنهما لا شأن لكم رضي الله عنهما

فقال له القوم: إذاً نناجز القوم غداً.

مبارك إن شاء الله رضي الله عنهما رضي الله عنهما ولكان قد عليه السلام ضمر في نفسه عليه السلام ن لا يعود إلى قتال الحسين وعليه السلام هل بيته رضي الله عنهما

فلما حل الظلام أرسل مبارك رجلاً يثق به إلى الحسين بن علي وقال له:

رضي الله عنها إذهب إلى الحسين بن علي وعليه السلام بلغه مني السلام رضي الله عنه وعليه السلام بلغه عليه السلام ني عليه السلام كره ملاقاته وقتاله رضي الله عنها فوالله لأن عليه السلام سقط من السماء فتخطفني الطير عليه السلام و تهوي بي الريح في مكان سحيق عليه السلام يسر علي من عليه السلام ن عليه السلام شوكك عليه السلام و عليه السلام قطع من رعليه السلام سك شعره رضي الله عنها ولكن لا بد من الإعذار رضي الله عنها ليرسل ولو عشرة من عليه السلام صحابه الليلة ليبيتوا في معسكري رضي الله عنه فأتظاهر بالفرار والهزيمة ولك علي الوفاء رضي الله عنه عهد الله رضي الله عنها

انطلق الرسول إلى الحسين وأخبره الخبر، فأسرع إلى إجابة مبارك التركي، وأرسل عشرة من خلص أصحابه، فطرقوا عسكره وجعجعوا به .. فالتمس مبارك دليلاً يوصله إلى ما بين مكه والمدينة وأعطاه مالاً كثيراً .

الفصل الرابع

فتح الحسين بن علي بيت المال في المدينة، فوجد فيه الأموال والكنوز فقسمها في فقراء أهل المدينة ولم يدخر لنفسه منها شيئاً.

وأقبل بعض الزوار من أهل العراق ودخلوا على الحسين بن علي.

العراقي: يا مولاي .. لقد أرسل الهادي العباسي خمسة جيوش كثيفة العدد والعدة.

الحسين: هل عرفت وجهتهم؟

العراقي: نعم يا مولاي، إنهم لا يقصدونك هنا ولكنهم ذاهبون إلى مكة، وقد منعوا الحجاج من دخول المدينة وجعلوا لهم طرقاً

بعيدة عن المدينة.

الحسين: إذاً نسبقهم إلى مكـة، فـإني أخـاف أن يحـصروا الحجـيج فـلا يمكنوا من أراد الوصول إلينا من هنالك..

ثم نادى على أصحابه قائلاً:

رضي الله عنهما ادعوا إليّ يوسف عليه السلام ن يقبل بما عليه السلام عده من الجمال والحمير رضي الله عنهما

وانطلق بعض الجنود للبحث عن يوسف وطـال الوقت فأرسل الحسين آخرين..

ورجع الجميع فأخبروه أنهم لم يجدوا له أثراً في المدينة، وأن بعض من رآه أخبرهم أنه أخذ المال وهرب.

الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون. فعلى أي شيء نحمل الناس؟

فجعل يحث الناس على الخروج معه، ولكن لا يجد ما يحملهم عليه، فجعل يطلب مالاً فما وجد المال إلا بعد أيام.

وقبل أن يرحل دعا ديناراً الخزاعي وولاه على المدينة.

ثم دخل على أخته فاطمة بنت علي، فجعل يواسيها ويعزيها ويقول: يا أختاه صبراً على البلاء، فلك في أمك خير قدوة. ثم قام يريد أن يودعها.

فاطمة رضي الله عنها إلى الحسين يا أخي عليه السلام

الحسين: إلى مكة حيث واعدت الناس.

فاطمة: وتتركني هنا.؟!

الحسين: يا أختاه ليس لك صبر السفر، وإني أخاف عليك الأسر فإن القوم ليسوا أهل دين.

فاطمة: لا والله، لا أسأل عنك الركبان بل أخرج معك لينالني ما نالك.

فحملها وخرج ومعه زهاء ثلاثمائة، كلهم من أهل العلم والبصائر والزهد والعبادة يقصد مكة.

فلما بلغ الحسين وأصحابه منطقة (فخ) الواقعة بين مكة والمدينة إذا بالجيوش العباسية قد احتشدت هناك وحالت بينه وبين الوصول إلى مكة والإتصال بالحجيج فباتوا ليلتهم على مقربة منهم.

* * *

وهناك في المعسكر كان القادة العباسيون قد اجتمعوا بموسى بن عيسى، والعباس بن محمد، وجعفر ومحمد ابني سليمان بن جعفر المنصور، ومبارك التركي، ومنارة، والحسن الحاجب، والحسين بن يقطين يعدون العدة ويجمعون الجمال ليحملوا الناس عليها.

فأرسل موسى بن عيسى إلى رجل جمال يسمى أبو العرجاء الجمال.

موسى: كم تملك من الجمال؟

أبو العرجاء: أملك مائة جمل ذكر.

موسى: فعلي بها الآن.

فأقبل أبو العرجاء بجماله فأمر عيسى بختم أعناقها .. ثم التفت إلى أبي العرجاء وقال له: لا أفقد منها وبرة إلا ضربت عنقك.

فلما دنا الليل دعا موسى أبا العرجاء.

موسى: يا أبا العرجاء، اذهب إلى معسكر الحسين حتى تراه، ثم عد وأخبرني بما رأيت.

ولم يغب أبو العرجاء طويلاً حتى عاد.

موسى: ماذا رأيت يا هذا؟

أبو العرجاء: والله ما أظن القوم إلا منصورين.

موسى: كيف ذاك يا ابن الفاعلة؟

أبو العرجاء: والله ما رأيت خلالاً ولا فلالاً ولا رأيت إلا مصلياً أو مبتهلاً أو معداً للسلاح.

فضرب موسى بن عيسى يداً على يد وبكى.

فجعل أبو العرجاء يقول في نفسه: والله لا يخرج هذا لقتالهم.

ثم تكلم موسى بعد طول صمت فقال:

رضي الله عنهما هم والله عليهم السلام كرم عند الله وعليهم السلام حق بما في عليهم السلام يدينا من ارضي الله عنهم ولكن الملك عقيم رضي الله عنهم والله لو عليهم السلام ن صاحب هذا القبر رضي الله عنهما يعني رسول الله صلى الله عليه و عليهم السلام له وسلم رضي الله عنهما نازعنا الملك لضربنا خيشومه بالسيف رضي الله عنهما

فلما ظهر ضوء الفجر نادى على غلام بين يديه طبل، فقال له: اضرب طبلك يا غلام.

وأقبل العباس بن محمد على رأس الجيوش العباسية.

وتقدم موسى بن عيسى وقدم بين يديه محمد بن سليمان بن جعفر المنصور وقال له:

- اسمع يا محمد.. لقد علمت انهزامك وأخيك في العراق لإبراهيم بن عبد الله، فإنما هم أخوالك تداريهم وتبغي لهم ملكاً.

فاشتد غضبه وقال: اليوم ترى ما أفعل!!

* * *

فلما أحس الحسين أن القوم لا شك مقاتليه.

التفت إلى أصحابه وقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد يا إخوتي وإخواني وشيعة أبي ومحبي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قد تبين لكم ظلم هؤلاء القوم وفسقهم وفجورهم وعداوتهم لله ولرسوله وسيرتهم في أمة محمد، وارتكابهم الشرور، وهتكهم الستور، واستئثارهم بالفيء، وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف .. دعاهم الشيطان فأجابوه واستصرخهم فتبعوه، يسيرون فيكم بسيرة القياصرة، ويقضون بالهوى ويحكمون بالرشا، يولون السفهاء، ويظاهرون أهل الريب والردى، يقلدون إمرة المسلمين اليهود والنصارى، جبابرة عتاة، يلبسون الحرير، وينكحون الذكور، فكيف لا يغضب أولي النهى، أم كيف يسوغ الطعام لأهل البر والتقوى.

قد درسوا الكتاب فأولوه على غير تأويله، وغُنّيَ به على المعازف

فحُرف عن تنـزيله، فلم يبق من الإسلام إلا اسـمه ولا مـن القـرآن إلا رسمه، فلو أن مؤمناً تقطعت نفسه قطعاً، ما كان ذلك لله رضى بل كان ذلك جديراً عندي، فروحوا بنا إلى الله واصطبروا لله.

فوالله إن الراحة منهم ومن المقام معهم في دارهـم لراحـة، والجهـاد عليكم فريضة، فقـاتلوهم فـإن الله تعـالى قـد فـرض قتـالهم وصـبِّروا أنفسكم فوالله لو لم أجد غيري لحاكمتهم إلى الله حتى ألحق بسلفي.

ثم قام بعده يحيى بن عبد الله يحث الناس عـلى الجهـاد. فحمـد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي وآله، ثم قال:

أبشروا معاشر المسلمين فإنكم أنـصار الله وأنـصار كتابـه وأنـصار رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعوان الحق وخيـار أهـل الأرض، وعلى ملة الإسلام ومنهاجه الذي اختـاره لأنبيائـه المرسـلين وأوليائـه الصابرين.

ثم قال: والله مـا أعـرف عـلى وجـه الأرض وعـلى ملـة الإسـلام ومنهاجه الذي اختاره لأنبيائه المرسلين وأوليائه الصابرين، إلا من كان على مثل رأيكم . حالت بينكم وبينهم المعاذير، إما فقير لا يقدر على مـا

يحتمل به إلينا، فهو يدعو الله في آناء ليله ونهاره، أو غني بعدت داره عنا فلم تدركه دعوتنا، أو محبوس عند الفسقة وقلبه عندنا ممن أرجو أن يكون ممن وفى لله بما اشترى منه.

فما تنتظرون عباد الله بجهاد من قد أقبل إلى ذرية نبيكم ليسبوا ذراريهم ويجتاحوا بقيتهم؟!

فدمعت عيون القوم وقالوا: سر بنا فوالله لا نرجع أو نقتل دونك.

واستعد الجميع لخوض المعركة..

الفصل الخامس

وفي أرض المعركة وقبل أن يبدأ محمد بن سليمان الهجوم خرج إلى ما بين الصفين ونادى على الحسين بن علي فخرج إليه الحسين بن علي حتى قرب منه.

محمد بن سليمان: السلام عليك والله يا خال ما أشخصني إلى هذه البلاد إلا شفقة عليك والظن بك. ورجاء أن يحقن الله دمك.

الحسين: ما أعرفني بما تحاول من خديعتي من ديني ودنياي، وكيف لا وأنتم تغرون المرء عن دينه بحيلة يسيره تطمعونه فيها فإذا ركن إليكم قتلتموه.. أليس هذا وصية آبائكم؟ إليك عني.

محمد: يا خال لا تفعل، اقبل نصحي ولا تعرض نفسك للهلكة، فإن معي كتاب قد أخذته لك من ابن عمك الخليفة بأمانك وجعل لي أن أعرض عليك كل ما أحببت .. فصر إلى أي بلد من البلدان

شئت، وسمِّ ما شئت من الأموال والقطائع والضياع.

الحسين: يا ابن الخيزران أتظن أني إنما خرجت في طلب الدنيا التي تعظمونها، أو للرغبة فيها، أو ما تعرضون علي من أموال المسلمين.؟ وليس ذلك كما تظن، إنما خرجت غضباً لله ونصرة لدينه، وطلباً للشهادة وأن يجعل الله مقامي هذا حجة على الأمة، واقتديت في ذلك بأسلافي الماضين المجاهدين، لا حاجة لي في شيء مما عرضت علي، وأنا نافذ فيما خرجت له ماض على بصيرتي حتى ألحق بربي.

وهنا أحس محمد بن سليمان بثبات الحسين وإصراره فعاد إلى المعسكر.

وتقدم موسى بن عيسى إلى الحسين وأصحابه فثبتوا له وقاتلوا قتالاً شديداً ولم يتزحزحوا رغم كثرة المهاجمين، وكمال عدتهم.

فتراجع موسى بن عيسى ومن معه، فتبعهم الحسين وأصحابه، فاستطرد موسى حتى صار أتباع الحسين في بطن الوادي.

فسنحت الفرصة لمحمد بن سليمان لينفي عن نفسه التهمة التي رماه بها موسى بن عيسى، فأمر جنده بالهجوم على الحسين وأصحابه فأقبلوا عليهم من خلفهم فتفاجئوا بالقوم، فأصابوا أصحاب الحسين بالقتل والجراح، ولم ينج من أصحاب الحسين أحد.

فجعل أصحاب محمد بن سليمان ينادون الحسين ومن معه بالأمان .. فلم يلتفت إليهم الحسين بل جعل يقاتل لا يلوي على شيء.

وحمي الوطيس وتفرق الناس عن الحسين وكثرت فيه الجراح.

وجعل من حوله من أصحابه يقولون له: أنج بنفسك.

الحسين: والله لا أفر ولا أمكنهم من نفسي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن لله يبغض العبد يُستأسر إلا من جراح مثخنة)).

ولم يبرز للحسين رجل إلا قتله حتى صار جنود العباسيين يتحاشون مبارزته.

وهنا تحرك مارد لم يعرف لله حقاً ولا لرسوله حرمة، علج من الأتراك، ربيب الغواني وطالع سوء يقال له حمّاد التركي، وقال

لأصحابه: -أروني الحسين فإني لا أعرفه.

وأشارت الأصابع لتعلن عن قرب المصُارع: ذاك الحسين..

وهنا حمل اللئيم القوس وصوب سهامه نحو الحسين.

ومضت السهام من قوس اللئيم إلى صدر نسل الأنبياء.

وتخضبت أرض فخ بالدماء.

وأقبل الحسن بن محمد ليرى الحسين صريعاً فشدَّد في قتال القـوم، فإذا بنشابة قد سددت إلى عينه.

فراح الدم ينـزف وهو لا يكف عن القتال.

فصاح به محمد بن سليمان قائلاً: يا با ابن الخال اتـق الله في نفـسك ولك الأمان.

الحسن: والله مالكم أمان، ولكني أقبل منكم؟ ثم كسر سيفاً هندياً كـان في يده ودخل عليهم.

العباس بن محمد -وهو يـشير إلى ابنـه عبـد الله:- قتلـك الله إن لم تقتله أبعد كل تلك الجراح تنتظره.

موسى بن عيسى: إي والله .. عاجلوه.

فحمل عليه عبد الله بن العباس فطعنه، وضرب العباس بن علي عنقه بيده صبراً.

وتهاوى آل البيت وشيعتهم في ساحة المعركة بين قتيل وجريح.

وآن للتاريخ أن يطوي صفحة مليئة بدماء الأبرياء.

فلما جن عليهم الليل انسل من بقي منهم يتخفى بين الحجيج وتفرقت بهم البلاد خوفاً من أن تسفك دماءهم على غير فائدة ولا نصرة لدين الله.

وأنشد الدهر على لسان أحد الشعراء:

يا عين أبكي بدمع منك منهمر ... فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن

صرعى بفخ تجر الريح فوقهم ... أذيالها وعوادي الدلج والمزن

حتى عفت أعظم لو كان شاهدها ... محمد غاب عنها ثم لم يهن

ماذا يقولون والماضون قبلهم ... عليالعداوة والبغضاء والإحن

ماذا يقولون إن قال النبي لهم ... ماذا صنعتم بنا في سالف الزمن

لا الناس من مضر حاموا ولا دفعوا ولا ربيعة والأحياء من يمن

ياويحهم كيف لم يرعوا لهم حرما وقد رعى الفيل حق البيت ذا

واجتمع قادة المعركة لينظروا حصادهم، فإذا بالرؤوس مقبلة على الرماح، فدعى موسى بن عيسى كل من لم يحضر المعركة من آل علي وجعل ينظر إلى الرؤوس وهي على الأسنة، ثم نظر إلى موسى بن جعفر قائلاً: هذا رأس الحسين بن علي.

فقال موسى بن جعفر: نعم .. إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله ... فصمت الجميع ولم يجبه أحد بشيء.

وجعلت الجند تمر على مكة والمدينة وتطوف البلدان حاملة لرؤوس القوم حتى مر أكثر من مائة رأس ونيف موضوعة في أعلى الرماح في مقدمتها رؤوس آل البيت.

وبدأت الجيوش رحيلها لتبشر الخليفة بسفك دم الحسين بن علي الفخي وخلاصه من عدوه.

وحملوا معهم الرؤوس والأسرى وعلى رأسهم فاطمة

بنت علي العابد-أخت الحسين- بعد أن ودعت أخاها ورأت مصارع أهلها لتكون زينب عصرها.. ولسان حالها يقول:

فلأبكين على الحسين ... بِعَولةٍ وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي ... أثووه ليس بذي كفن
تُركوا بفسخ غدوة ... في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا ... لا طائشين ولا جُبَن
غسلوا المذلة عنهم ... فلهم على الناس المنن
قوم كرام سادة ... من هم؟ ومن هم؟ ثم من ؟!

* * *

وخلت المدينة من رجال آل البيت ولم يبق في ديارهم إلا المرأة الثكلى والطفل اليتيم وعادت سحابة الحزن لتمطر الديار بفيض من مآسيها. وليت المأساة تقف هاهنا.

فقد أقبل العمري إلى المدينة فأهلك المال وخرب الديار، ثم أحرقها وشرد العيال .

وحقٌ للجبناء أن ينالوا من النساء والأطفال إذا غاب حاميها.

* * *

وجعل موسى بن عيسى هو الآخر يتتبع من نجا من أهل البيت (ع).

فقد دخل موسى بن عبد الله بن الحسن متخفياً فجعل يتحرش به بعض القوم حتى عُرف.. فأخذه موسى بن عيسى فضربه خمسمائة سوط، فما تأوه من ذلك.

موسى بن عيسى: قيدوه واضربوا كعبيه بالمطرقة.

فجعل موسى بن عبد الله لا يتأوه ولا يتكلم.

فصاح موسى بن عيسى: لم لا تتكلم؟

فقال ابن عبد الله:

وإني من القوم الذين يزيدهم حماساً وبأساً شدة الحدثان

فأرسله موسى إلى الخليفة في بغداد، وأرسل معه القاسم بن الحسن بن محمد بن عبد الله، والحسن بن علي (العابد) بن الحسن

المثلث أخو الحسين بن علي الفخي.

* * *

وأقبلت طلائع الجيش العباسي إلى بغداد يحملون الرؤوس والأسرى.

وأعلنت الأفراح وضربت الطبول.

فكان من بين الأسرى: العذافر الصيرفي، وعلي بن سايق السلانقي وآخرون .. وكان من وصل إلى الخليفة موسى المسمى بالهادي أمر بضرب عنقه .. فضربت أعناقهم جميعاً.

وجعل بعضهم يحدثه عن فاطمة بنت علي، وعن انهزام مبارك التركي، فقال موسى الهادي: والله لأجعلنه سائساً، أما فاطمة لأن يوافى بها لأطرحنها للسوس ...

ولم يكد يكمل توعده حتى أقبل رسل العمري وموسى بن عيسى..

موسى الهادي: ما أخبار المدينة أيها الرسل؟

أحد الرسل: بخير .. كل من فيها يدين بالولاء لكم.

موسى الهادي: فما ورائكم؟

أحد الرسل: حملنا إليك بعضاً ممن نصروا الحسين في فتنته.

موسى الهادي: عليّ بهم.

فأدخل عليه موسى بن عبد الله بن الحسن، والقاسم بن محمد بن عبد الله والحسن بن علي -أخو الحسين بن علي الفخي.

موسى الهادي رضي الله عنهما يخاطب القاسم رضي الله عنهم عليهم السلام نت ابن محمد بن عبد الله من تسمونه بالنفس الزكية رضي الله عنهم

القاسم رضي الله عنهم ما سميناه بل سماه رسول الله صلى الله عليه وعليهم السلام له وسلم حين قال رضي الله عنهم «يقتل رجل من عليهم السلام هل بيتي فتسيل دماؤه إلى عليهم السلام حجار الزيت» فكان ذاك عليهم السلام بي رضي الله عنها

موسى الهادي رضي الله عنهم والله لأقتلنك يا ابن الفاعلة قتلة ما قتلها عليهم السلام حد قبلي عليهم السلام حداً بعدك رضي الله عنها

فغضب القاسم بن محمد والتفت إلى موسى العباسي بكل جسمه وقال: الزانية هي الصناجة التي اشتريت بأموال المسلمين، أإياي تهدد

بالقتل الذي لم يسبقك إليه ظالم؟ فلأصبرن لك صبراً ما صبره أحد قبلي طلباً لمرضاة الله وجميل ثوابه.

فثار موسى وأزبد وارتج المجلس، ونادى بأعلى صوته:

- عليّ بالمناشير ليعلم ابن الفاعلة أيَّنا يكون أصدق.

فأمر فوضعت المناشير على كل عضو في جسده.

فجرد اللحم من العظم ونشر وجهه صفحة واحدة، ثم قطعت جميع أعضائه عضواً عضوا وهو صامت لا يتحرك ولا يتأوه.

موسى: كيف رأيت يا ابن الفاعلة؟

فالتفت إليه القاسم التفاتة المشفق عليه -ودماؤه تنزف من كل مكان في جسمه- ثم قال:

- مسكين لو رأيت ما أرى مِنَ الذي أكرمني الله به في دار المقام، وما أعد لك من العذاب في دار الهوان، لرأيت حسرة دائمة وتثبت النقمة العاجلة...

وما كاد القاسم يكمل كلامه حتى خرجت روحه الطاهرة

إلى باريها لتنعم بالمقام في ساحات الجنان.

ثم التفت موسى الملقلب بالهادي إلى الحسن بن علي بن الحسن المثلث -وكان كفيف البصر- فقال:

- وأنت لأقتلنك قتلة ما سبقني بها أحد.

الحسن بن علي: اختر لنفسك شرّها.

موسى الهادي -وهو يشير إلى بعض جنده: أملأ البيت الفلاني تبنا، وسد جميع أبوابه وضع هذا الأعمى بداخله ودخن عليه ثم أتركه ثلاثاً.

ففعلوا ذلك ثم فتحوا الدار بعد ثلاثة أيام فوجدوه حياً يرزق .. فلما علم الخليفة قال: اسجنوه حتى أقتله قتلة يبطل معها سحره.

* * *

وتفنن الخليفة العباسي في تعذيب أهل البيت (ع) وشيعتهم وإنزال الأذى بهم.

وسبقه الجميع إلى الملك الديان ينتظرون قدومه ليفصل

في أمرهم أسرع الحاكمين..

وأما فاطمة فكانت قد أخذت فوضعت عند زينب بنت سليمان فلم تصل إلى دار الخلافة إلا وقد هلك الخليفة المسمى بالهادي فنجاها الله من شره...

فإنه لم يكد ينصرم العام حتى كانت الآكلة قد أصابت جسمه،، فلما أحسن بدنو أجله أراد أن يعهد بالبيعة لأحد أولاده حتى لا تصير الخلافة إلى أخيه هارون .. فأوعزت أمه إلى بعض الجواري بقتله فدخلن عليه وهو نائم فجلسن على صدره حتى مات، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}

الفهرس

تصدير ----------
إفتتاحية----------
الفصل الأول .....
الفصل الثاني .....
الفصل الثالث.....
الفصل الرابع.....
الفصل الأول .....
الفصل الثاني .....
الفصل الثالث.....
الفصل الرابع.....
الفصل الخامس ٨